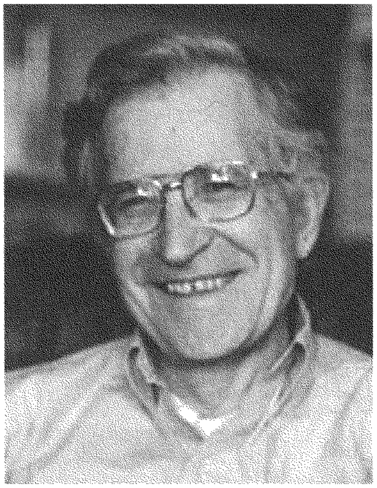

حوار مع نومْ تشومسكي في بيروت

آجراه: خاتشيك مُراديان
نقله إلى العربية: سماح إدريس

■ الدول التابعة والدول غير التابعة ■

لا حاجة إلى تعريف قرّاء الآداب بنومْ (أو نُوَامْ) تشومسكي. فقد سَبَقَ أن قدَّمَتْه ضِمْنَ ملفٍّ خاصّ عامَ ١٩٩٣، وأتْبَعَتْه بترجمة لعدّة مقالات ومقابلات معه على امتداد السنوات اللاحقة،(١) تخلّلتْها ترجمةٌ لكتابه: النزعة الإنسانية العسكرية الجديدة (صدر عن دار الآداب بترجمة أيمن حنّا حدّاد ومراجعة سماح إدريس). وقد جرَتْ هذه المقابلة عبر الهاتف في بيروت أثناء زيارته لها في ٢ أيار (مايو) ٢٠٠٦، ونُشرتْ على موقع Znet في ٨ أيار. وسمَحَ الصديق والرفيق خاتشيك مُراديان، وهو صحافي ومترجم وكاتبٌ لبناني ـ أرمني تقدُّمي ومحرِّر في جريدة آزتاج اليومية، لمجلة الآداب بترجمتها ونشرِها بالعربية حصريّاً. فله، ولتشومسكي الكبير، كُلُّ الشُّكْر.

---

١ ـ راجع ما يلي من الآداب مثلاً العدد ٦ (من العالم ١٩٩٣)، والعددين ٧/٨ و٩/١٠ (من العام ١٩٩٦)، والعددين ٧/٨ و٩/١٠ (من العام ١٩٩٨)، والعدد ٩/١٠ (من العام ٢٠٠١)، والعدد ١/٢ (من العام ٢٠٠٢) (س إ)

مُراديان: في مقالة بعنوان «ناخبون محلّيّون» تقول «مِنَ المَنُوِّر دائمًا أن نَسْعى إلى العثور على ما يُحْذَفُ في حملات الدعاية [الپروپاغندا].»[١] هل تستطيع أن تفصِّلَ الحديثَ عمّا يُحذف في حملات الپروپاغندا الأميركية بخصوص لبنان وسوريا بعد اغتيال رئيس الوزراء الأسبق رفيق الحريري في شباط (فبراير) ٢٠٠٥؟

تشومسكي: كلُّ ما يتمّ نقاشُه في الپروپاغندا الأميركية هو أنّ ثمة اغتيالاً حَصَلَ، وأنّ سوريا ضالعةٌ فيه. ولكنْ، كيف حَصَلَ أنْ جاءت سوريا إلى لبنان أصلاً؟ ولماذا رَحَّبت الولاياتُ المتحدةُ بسوريا في لبنان عامَ ١٩٧٦؟ ولماذا دَعَم جورج بوش الأبُ الوجودَ السوريَّ والهيمنةَ السوريةَ والنفوذَ السوريَّ في لبنان عامَ ١٩٩١ كجزءٍ من حملته ضدّ العراق؟ ولماذا ساندت الولاياتُ المتحدة الاجتياحَ الإسرائيليَّ للبنان عامَ ١٩٨٢؟ ولماذا ساندت الولاياتُ المتحدةُ الاحتلالَ الإسرائيليَّ لأجزاء من لبنان طوالَ ٢٢ عامًا، وهو احتلالٌ انتهَكَ قراراتِ مجلس الأمن؟ كلُّ هذه الموضوعات، وكثيرٌ غيرُها، لا تَرِدُ في النقاش [الدعائي الأميركي]. الحقّ أنّ المبدأ العامّ المتّبع هناك هو أنّ كلّ ما يضع أفعالَ الولايات المتحدة موضعَ السؤال يجب حذفُه، مع استثناءاتٍ نادرةٍ جداً. إذن، إنْ حَمَّلْتَ عدوّاً [لأميركا] مسؤوليةَ شيءٍ ما، فباستطاعتكَ أن تتحدّث عنه في ذلك الإعلام، وسوريا الآن هي العدوُّ الرسميُّ [لأميركا]. هذا لا يعني بالضرورة أنّ الاتهاماتِ الموجَّهةَ إلى سوريا خاطئة، بل يعني فحسبُ أنّ كلَّ شيءٍ آخرَ محذوفٌ من النقاش.

مُراديان: عند الحديث عن الأنظمة في الشرق الأوسط، غالبًا ما تُوردُ تعبيرَيْن «الواجهة العربية» [أي «المَظْهر العربي الكاذب»] أو «الشرطي المحلّي الرّاجِل.» ما هو دورُ لبنان في المنطقة؟

■

دور لبنان في التخطيط الأميركي هو أن يكون دولةً «مطيعةً» ومركزًا ماليّاً وقوةَ ضغط على سوريا

■

تشومسكي: إنّ تعبير «الواجهة العربية» Arab façade أتى من وزير الخارجية البريطاني اللورد كورزون بعد الحرب العالمية الثانية. ففي ذلك الوقت، حين كان البريطانيون يخطِّطون لترتيب الشرق الأوسط، كانوا يفكِّرون في ضرورة إيجاد «واجهاتٍ عربيةٍ،» أيْ حكوماتٍ عربيةٍ في الظاهر يستطيع البريطانيون أن يَحْكموا من ورائها.[٢] أمّا تعبير «الشرطي المحلّي الرّاجل» local cop on the beat فيعود إلى إدارة نيكسون، ويشير إلى إدراكها لكيفية وجوب تسيير الشرق الأوسط. فبحسب هذه الإدارة، يَنْبغي إيجادُ منطقة محيطيّةٍ peripheral من دولِ الجَنْدرْمة (تركيا، وإيران تحت حكم الشّاه، ثم التحقتْ بهما إسرائيلُ بعد حرب ١٩٦٧، وكانت باكستانُ بين هذه الدول فترةً من الزمن) وهذه الدول هي التي كان يُفْترض أن تكونَ الشرطةَ المحليّة [أو الدَّوريّة الرّاجلة]، في حين تكون الولاياتُ المتحدةُ هي مركزَ **قيادة** تلك الشرطة.

لقد كان موقعُ لبنان حاسمًا في هذا المجال. فقد كان محطَّ الاهتمام أساسًا بسبب عبور النفط، ولكونه أيضًا مركزًا ماليّاً. وكانت الولاياتُ المتحدة حريصةً على إبقاءِ لبنان تحت السيطرة من أجل ضمان بقاء إدارة الطاقة في الشرق الأوسط برمّته تحت سيطرتها. وبالمناسبة، فإنّ الولايات المتحدة، وللأسباب نفسها، اعتبرتِ اليونانَ جزءًا من الشرق الأدنى؛ فلقد كانت اليونانُ عمليّاً تابعةً لقسم «الشرق الأدنى» في وزارة الخارجية الأميركية حتى عام ١٩٧٤ لأنّ دورَها الأساسي في التخطيط الأميركي هو أن تكون جزءًا من سياسة نقل نفط الشرق الأوسط إلى الغرب والأمرُ نفسُه ينطبق على إيطاليا. أما لبنان فكان ذا دورٍ أهمّ بكثيرٍ في هذا المجال لأنّه يقع في قلب الشرق الأوسط.

---

١ ـ Noam Chomsky, "Domestic Constituencies," **Z Magazine**, 11:5, p. 18.

٢ ـ قال اللورد كورزون ذاتَ مرة إنّ بريطانيا تريد «واجهةً عربيةً تُحْكَمُ وتدارُ بتوجيهٍ بريطانيّ، ويَضْبطها محمَّديٌّ [مسلمٌ] محلّيّ وإدارةٌ عربيةٌ ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً » (خ م)

إنّ ما سَبَقَ ذِكْرُه، فضلاً عن الدعم [الأميركي] لأعمال إسرائيل لكونها شرطيّاً محليّاً راجلاً، قد كانا العامليْن المحرِّكيْن وراء إرسالِ آيزنهاور القوّاتِ المسلّحةَ الأميركية إلى لبنان في العام ١٩٥٨

مُراديان: وماذا تتوقّع الإدارةُ الأميركيةُ من لبنان اليومَ؟

تشومسكي: دورُ لبنان هو أن يكون دولةً مطيعةً غيرَ فاعلة (passive)، تستعيد مكانتَها بوصفها مركزًا ماليّاً، ولكنّها تتكيّف مع السياسات الأميركية الرئيسية التي تَشْمل السيطرةَ على موارد الطاقة في المنطقة

مُراديان: وماذا عن دورِ لبنان في سياق الضغط على سوريا؟

تشومسكي: مسألة سوريا مسألةٌ مستقلّة. نعم، يُتوقّع من لبنان أن يَلْعب دورًا في الضغط على سوريا. غير أنّ المشكلة بالنسبة إلى الولايات المتحدة هي أنّ سوريا ليست دولةً تابعةً [أو خاضعةً] subordinate. هناك الكثيرُ من الانتقادات الجدّيّة التي يُمْكن المرءَ أن يوجِّهها إلى سوريا، غير أن مشاكلَ هذا البلد الداخلية ليست محطَّ اهتمامٍ خاصٍّ من قِبل الولايات المتحدة، التي تَدْعم حكوماتٍ أكثرَ قسوةً بكثير! المشكلة [الأميركية] مع سوريا هي أنّها، ببساطة، لا تُخْضع نفسَها للبرنامج الأميركي في الشرق الأوسط. إنّ سوريا وإيران هما البلدان الوحيدان في المنطقة اللذان لم يَقْبلا الترتيباتِ الاقتصاديةَ الأميركيةَ. والحال أنّ السياسات المتَّبعة ضدّ هذه البلاد متشابهة. خُذْ، مثلاً على ذلك، قصفَ الصرب عامَ ١٩٩٩. لماذا كانت الصربُ عدوّاً [لأميركا]؟ لم يكن ذلك بالتأكيد بسبب الفظاعات التي كانت تَقْترفها، بل نحن نَعْلم أنّ [قصفَ الناتو للصّرب] قد تمّ على أساسِ توقُّع أن يؤدّي ذلك إلى **تصعيدٍ** حادٍّ في الفظاعات![1] نحن نَعْرف هذه الإجابة من أعلى مراتب إدارة كلينتون، وهي أنّ الصرب لم تكن تتبنّى الإصلاحات الاجتماعيةَ والاقتصاديةَ «المناسبة،» بل كانت الزاويةَ الوحيدةَ في أوروبا التي رَفَضتِ الترتيباتِ الاجتماعيةَ الاقتصاديةَ التي أرادت الولاياتُ المتحدةُ إملاءَها على العالم. والمشكلة الأميركية مع سوريا وإيران اليوم هي نفسُها إلى هذا الحدّ أو ذاك. فلماذا تخطِّطُ الولايات المتحدة للحرب على إيران أو تهدِّد بشنّها عليها؟ هل تهدِّدُ إيرانُ أحدًا؟ كلا! هل إيران أكثرُ وحشيةً وأقلُّ ديموقراطيةً من بقيّة العالم العربي والإسلامي؟ أيّةُ مزحةٍ ثقيلة هي هذه! المشكلة مع إيران هي أنّها لا تَخْضع لأميركا.

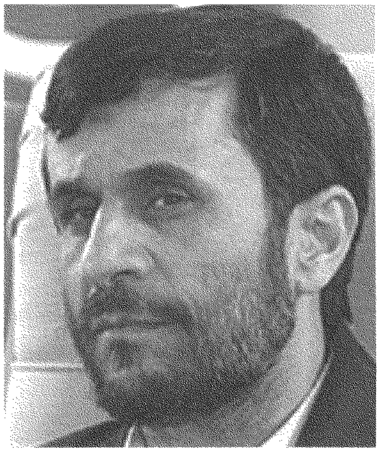
المشكلة الأميركية مع إيران هي أنّ هذه لا تَخْضع لأميركا!

مُراديان: في هذا السياق، لماذا تَدْعم أوروبا السياساتِ الأميركيةَ في الشرق الأوسط بشكلٍ متزايد؟

تشومسكي: لو عُدْتَ إلى العقود الماضية فسترى أنّ أحدَ بواعث القلق الأساسية للسياسة الأميركية (وهذا واضحٌ جدّاً في تخطيطها الداخلي) هو أنّ أوروبا قد تَسْلك طريقًا مستقلاً. فأثناء فترة الحرب الباردة كانت الولاياتُ المتحدة خائفةً من أن تَسْلك أوروبا ما أَسْمتْه «طريقًا ثالثةً،» واستُخْدِمتْ آلياتٌ كثيرةٌ لكبْح أيِّ نيّةٍ أوروبيةٍ في سلوك هذا الدرب المستقلّ. ويعود زمنُ ذلك إلى الأيام الأخيرة من الحرب العالمية الثانية وبعيْدها، حين تدخّلت الولاياتُ المتحدةُ وبريطانيا، وأحيانًا بعنفٍ شديدٍ، من أجل قمع المقاومة المناهضة للفاشية وإعادة البنى التقليدية، بما فيها المتعاملون الفاشيون ـ النازيون، وأُعيد بناءُ ألمانيا بطريقةٍ مماثلةٍ جدّاً. وقد استَنَدَ عدمُ الرغبة [الأميركية] في قبول ألمانيا محايدةٍ موحَّدةٍ في الخمسينيات إلى نمطِ تفكيرٍ مشابهٍ.

لقد عَرَضَ ستالين فعلاً قيامَ ألمانيا موحَّدةٍ تُجرى فيها انتخاباتٌ ديموقراطيةٌ (كان سيَخْسرها بالتأكيد)، ولكنْ شرطَ ألاّ تكون جزءًا من تحالفٍ عسكريٍّ معادٍ له. بيْد أنّ الولايات المتحدة لم تكن

١ ـ راجع في هذا الصدد كتاب تشومسكي الصادر بالعربية عن دار الآداب **النّزعة الإنسانية العسكرية الجديدة** (س إ)

على استعداد لتحمُّل ألمانيا موحَّدة، وكان تأسيسُ حلف الناتو إلى حدٍّ بعيدٍ محاولةً لضمان الانضباط الأوروبي [في الخطّ الأميركي]؛ كما أنّ المساعي الراهنة لتوسيع الناتو إنّما هي خططٌ إضافيةٌ في الاتجاه نفسه.

لقد كانت النخبُ الأوروبيةُ، ومازالت، بشكل عامّ، راضيةً بهذه الترتيبات. فهذه النُّخب ليست مختلفةً كثيرًا عن القوى المسيطرة في الولايات المتحدة. إنّها مختلفة إلى حدٍّ ما، لكنّها متعالقةٌ معها إلى حدٍّ وثيق: فثمة علاقاتٌ استثماريةٌ وأعمالٌ متبادلةٌ بين الطرفيْن. وتستطيع أن ترى ذلك بشكلٍ صادمٍ جداً في حالةِ إيران: فالولايات المتحدة تَسْعى إلى عزل إيران وخنقِها منذ سنوات، ففَرضتْ عليها حصاراتٍ وعقوباتٍ، وهَدّدتْ أوروبا مرارًا وتكرارًا بإلغاء الاستثمارات في إيران. وقد وافقت الشركاتُ الأوروبيةُ الرئيسةُ على ذلك إلى حدٍّ كبير، غير أنّ الصين لم توافقْ. فالصين لا يُمْكن تخويفُها [أو التهويلُ عليها]، ولهذا تخاف الحكومةُ الأميركيةُ منها. إنّ أوروبا تتراجع وتتّبع رغبةَ الولايات المتحدة إلى حدٍّ كبير. والأمرُ نفسُه يَنْطبق على الجبهة الفلسطينية ـ الإسرائيلية: فالولايات المتحدة تَدْعم بشدةٍ الاحتلالَ الإسرائيليَّ للأجزاء الثمينة من الأراضي المحتلّة، وتَدْعم بشدّةٍ إلغاءَ أيّةِ إمكانيةٍ لقيام دولة فلسطينيةٍ قادرةٍ على الحياة. نظرياً (على الورق) يعارض الأوروبيون ذلك، ويشاركون الإجماعَ الدوليَّ على إيجادِ تسويةٍ قائمةٍ على دولتيْن [فلسطينية وإسرائيلية]، لكنّهم لا يَفْعلون أيّ شيء عملياً. إنّهم غيرُ مستعدِّين للوقوف في وجه الولايات المتحدة. وحين قرّرت الحكومةُ الأميركيةُ معاقبةَ الفلسطينيين لانتخابهم «الطرفَ الغلطَ» في الانتخابات الأخيرة، سايَرَها الأوروبيون، ليس كليّاً، ولكنْ إلى حدٍّ بعيد. بشكلٍ عامّ، النخبُ الأوروبيةُ لا ترى من مصلحتها مواجهةَ الولايات المتحدة، وتفضّلُ التكاملَ معها. أما المشكلة التي تواجهها الولاياتُ المتحدة مع الصين، ومع آسيا عامةً، فهي أنّ هذيْن الطرفيْن لا يَقْبلان الأوامرَ الأميركية تلقائياً.

أوروبا تساير أميركا إلى حدٍّ بعيد، وأما الصين وآسيا عامةً فلا يَقْبلان الأوامرَ الأميركية تلقائيّاً!

مُراديان: إنّهما لا يسيران على الدرب الذي رسمتْه...

تشومسكي: نعم، إنّهما لا يسيران [كما تريد أميركا]، وخاصةً في حالة الصين؛ فالصينيون لا يُخوِّفون [لا يهوِّل عليهم]. وهذا هو السببُ في أنّ الصين (لو قرأْتَ آخرَ تقرير «لاستراتيجية الأمن القومي» الأميركي) تُعرَّفُ بأنّها التهديدُ الأساسيُّ للولايات المتحدة على المدى البعيد. وهذا لا يعود إلى أنّ الصين ستغزو أو تهاجِمُ أحدًا، بل الحقّ أنّ الصينيين هم أقلُّ القوى النووية الرئيسية عدوانيةً، لكنّهم ببساطةٍ يَرْفضون الخضوعَ للتخويف أو التهويل، لا في ما يخصّ سياساتِهم في الشرق الأوسط وحده بل في ما يخصّ أميركا اللاتينيةَ أيضًا. ففي حين تحاول الولاياتُ المتحدةُ عزلَ فنزويلا وتقويضَها، تواصل الصينُ استثماراتِها في فنزويلا واستيرادَها منها من دونِ اعتبارٍ لما تقوله الولاياتُ المتحدة.

إنّ النظام العالمي [الجديد] أشْبهُ بالمافيا إلى حدٍّ ما. فعلى «العرّاب» أن يَضْمن الانضباطَ!

أوروبا تلاحق مصالحَها الاقتصاديةَ بهدوءٍ ما دامت هذه لا تَصْطدم مباشرةً بالولايات المتحدة. وحتى في حالةِ إيران، فإنّ أوروبا ما زالت تَحْتفظ بعلاقاتٍ اقتصاديةٍ مع هذا البلد، رغم أنّ شركاتٍ أوروبيةً أساسيةً انسحبتْ منه وتراجعتْ أوروبا فعلاً عن صفقتها مع إيران حول تخصيب اليورانيوم. والولايات المتحدة تحاول منذ سنوات أيضًا مَنْعَ أوروبا من الاستثمار في كوبا، وقد بقيتْ أوروبا بعيدةً عن كوبا إلى حدٍّ كبير، ولكنْ ليس كليّاً. إنّ الولايات المتحدة تتصرّف بشكلٍ مزدوجٍ حيال الاستثمار الأوروبي واستخراج الموارد الطبيعية من أميركا اللاتينية. فنظامُ الشركات في الولايات المتحدة ونظامُ الشركات في أوروبا متعالقان تعالقًا شديدًا؛ كما أنّ الولايات المتحدة تَعْتمد على الدعم الأوروبي في مناطقَ كثيرةٍ من العالم. وعليه، فإنّ استثمارَ أوروبا في أميركا اللاتينية، واستيرادَها مواردَ منها، لا يهدِّدان هيمنةَ الولايات المتحدة كما تهدِّدها الصينُ حين تَفْعل ذلك.

مُراديان: تَحَدّثَ حسن نصر الله، الأمينُ العامُّ لحزب الله، في إحدى خطبه الأخيرة، عن تضامنه مع حركة المقاومة في المناطق [الفلسطينية] المحتلّة ومع «أخينا تشافيز.» فلنتحدّثْ عن الرابطِ المشترك الذي يَجْمع أناسًا على ضفافِ الأطلسي المختلفة، ومن خلفيّاتٍ إيديولوجيةٍ مختلفة.

تشومسكي: ما يَجْمع بينهم هو أنّهم لا يُخْضعون أنفسَهم للقوة الأميركية. حزبُ الله يَعْرف تمامًا أنّه لنْ يتلقّى العونَ من ڤنزويلا، لكنّ ما يَرْبطهما معًا هو أنّ كليْهما يَنْهجان نهجًا مستقلاً عن القوة الأميركية، بل نهجًا **يتحدّى** الأوامرَ الأميركية.

إنّ الولايات المتحدة تحاول وماتزال، عبثًا، أن تُسْقطَ الحكومةَ الكوبيّةَ منذ أكثر من ٤٥ عامًا. وكان صعودُ تشافيز إلى سدّة الحكم أمرًا مُرْعبًا جداً للنخب الأميركية: فهو يَحْظى بدَعْمٍ شعبيٍّ هائل، ومستوى الدعم الذي تَلْقاه الحكومةُ الفنزويليةُ المنتخبةُ يتصاعد بشكلٍ حادٍّ جداً ووصل الآن إلى أعلى ذُراه في أميركا اللاتينية. إنّ تشافيز يَنْهج نهجًا مستقلاً، وهو يقوم بالكثير من الأعمال التي لا تُعْجب الولاياتِ المتحدةَ على الإطلاق. فالأرجنتين، التي دُفعتْ إلى الدمار الكامل بسبب اتّباعها أوامرَ صندوق النقد الدولي، تعيد بناءَ ذاتَها ببطءٍ، وذلك برفض أحكام هذا الصندوق، وهي تريد دفعَ ديونها للتخلّص منها، وقد ساعدها تشافيز وغطّى قسمًا كبيرًا من هذه الديون. إنّ التخلّص من صندوق النقد الدولي يعني التخلّصَ من إحدى وسيلتَي السيطرة اللتيْن تستَخْدمهما الولاياتُ المتحدة، وأعني: العنفَ والقوةَ الاقتصادية. وبالأمس أمَّمَتْ بوليڤيا احتياطيَّ غازها، وهو ما تعارضه الولاياتُ المتحدة، وقد استطاعت بوليڤيا فِعْلَ ذلك جزئيّاً بسبب الدعم الڤنزويلي أيضًا.

إنّ الولايات المتحدة لا تَقْبل بأن تتّجه البلدانُ وجهةَ القوميةِ المستقلّة. لماذا أرادت الولاياتُ المتحدةُ تحطيمَ عبد الناصر في السابق؟ ألأنّه كان أكثرَ عنفًا واستبدادًا من القادة الآخرين؟ المشكلة [الأميركيةُ مع نظام عبد الناصر] هي أنّه كان يَنْهج منهجَ القوميةِ العلمانيةِ المستقلّة. وهذا ما لا يُمْكن قبولُه [أميركيّاً].

بالأمس أمّمَتْ بوليڤيا احتياطيَّ غازها بدعمٍ ڤنزويلي جزئيّ، وهو ما تعارضه أميركا

مُراديان: تحدّثتَ عن شعبيةِ حكومةِ تشافيز في بلاده، والاستفتاءاتُ تشير إلى أنّ هذا الأمر لا ينطبق على إدارة بوش وسياساتِها لا داخل أميركا ولا خارجها. ولكنْ على الرغم من الاستياء [الشعبيّ] من مروحةٍ واسعةٍ من القضايا، فإنّ السياسة الأميركية لم تتغيّر إلاّ قليلاً. كيف تفسِّر ذلك؟

تشومسكي: في كتابٍ لي صَدَر حديثًا تحدّثتُ عن هذا الموضوع بشكلٍ مطوّلٍ بعضَ الشيء. إنّ الولاياتِ المتحدة تعاني في الداخل عجزًا ديموقراطيّاً متزايدًا، بل وغدا هائلاً اليومَ. فثمة انقسامٌ هائلٌ بين الرأي العامّ والسياسة [الرسمية] العامّة حول مروحةٍ واسعةٍ من القضايا: من نظام الصحّة المتّبع، إلى الوضع في العراق. وإدارةُ بوش لا تَمْلك إلاّ سيطرةً ضعيفةً جداً على السلطة: تَذَكَّرْ أنّ بوش نال في الانتخابات الأخيرة حوالى ٣١٪ فقط من أصوات الناخبين، في حين نال كيري ٢٩٪؛ ولو حَدَثَتْ تغيُّراتٌ طفيفةٌ في أصوات الناخبين في ولاية أوهايو لكانت الأمورُ سارت في الاتجاه الآخر. إنّ الإدارة الأميركية تَسْتخدم هذه السيطرةَ الضعيفةَ، يائسةً، من أجل محاولةِ مَأْسسةِ تغييراتٍ عميقةٍ وواسعةٍ جداً في الولايات المتحدة. ويُمْكنها أن تَنْجح في ذلك لأنّه ليس ثمة حزبٌ معارضٌ حقيقيٌّ. ولو كان ثمة حزبٌ معارضٌ [حقيقيٌّ] لكان أَرْبَكَ إدارةَ بوش إرباكًا تامّاً. ففي كلِّ أسبوع تقوم إدارةُ بوش بعملٍ ضدَّ نفسِها ـ سواء كان ذلك بالنسبة إلى إعصار كاترينا، أو فضائح الفساد، أو غيرِ ذلك من القضايا ـ غير أن الحزبَ الرسمي المعارضَ [أي الحزب الديموقراطي] لا يستطيع أن يَجْنيَ أية أرباح من ذلك. إنّ أحدَ أكثر الأمور لفتًا للانتباه في سياسات الولايات المتحدة خلال الأعوام الأخيرة هو أنّه بالرغم من الانحدار الحادّ في التأييد الشعبي لإدارة بوش (وقد كان تأييدًا ضعيفًا جداً على الدوام) بسبب الكوارث المتلاحقة، فإنّ

التأييدَ الشعبي للحزب الديموقراطي **لم** يزدَدْ؛ وإنِ ازدادَ فذلك نتيجةٌ فقط لضعفِ التأييدِ الشعبي للجمهوريين. والسبب هو أنّ الحزب الديموقراطي لا يشكّل بديلاً.

مراديان: لقد أتيْتَ على ذكر كتابك الأخير **Failed States**، وفي خاتِمته تقول «لا ينبغي على أيّ عارفٍ بالتاريخ أن يُدْهَشَ لترافُقِ التراجع الديموقراطي المتزايد في الداخل [أميركا] مع الإعلان عن حملاتٍ مسيحانيةٍ [خلاصيةٍ] لجلبِ الديموقراطية إلى عالمٍ يُعاني » إلى أيّ مدًى تساعد هذه «الحملاتُ المسيحانيةُ» إدارةَ بوش؟

تشومسكي: إنّها تساعدها ضمن صفوف الطبقات المتعلّمة [أو المثقّفة] وأنا أتحدّثُ عن ذلك على نحوٍ شبهِ مطوّلٍ في الكتاب المذكور. فالحملاتُ المسيحانية أعقبتِ الفشلَ الأميركيَّ في العثور على أسلحة الدمار الشامل في العراق وكان الغزوُ قد حصل بالاستناد فقط إلى أنّ العراق كان على وشك الهجوم على الولايات المتحدة بالأسلحة النووية! ولكنْ بعد بضعة شهور اكتُشف أنّه ليس ثمة أسلحةُ دمارٍ شامل، فكان على إدارة بوش أن تجدَ ذريعةً جديدةً لغزو العراق، وهذا ما باتَ الحملةَ المسيحانية. وقد تلقّفتِ الطبقاتُ المثقفةُ ذلك، في أوروبا أيضًا، بل وفي العالمِ العربيّ نفسِه. فقد قال القائدُ ذلك، إذنْ علينا أن نصدّقه!

ولكنّني لا أعتقد أنّ هذه الحملات المسيحانية ذاتُ أثرٍ كبيرٍ في أوساط الجمهور العامّ، إلاّ بشكلٍ غيرِ مباشر. إنّ هذا الخطاب بأكمله مسعًى ضعيفٌ، بل هو الآن مسعًى يائسٌ جداً.

مُراديان: سؤالي الأخير هو عن تركيا، وهي من «الشرطة المحلّيّة الرّاجلة.» فقد أزْعجَتْني كثيرًا التطوُّراتُ الأخيرةُ في جنوب شرق البلاد. ولقد ذهبتَ أنتَ إلى تركيا مرارًا، وزرتَ المناطقَ الكردية. فما هو موقفُك من وضعِ الحريّات في تركيا اليوم؟

تشومسكي: لا شك أنّك تَعْلم أنّ المحقّقَ الأساسي في منظمة «مراقبة حقوق الإنسان» HRW، وهو إنسان مرهَفٌ جداً واسمُه جوناثان ساغدان، قد طُرِدَ مؤخّرًا من تركيا لأنّه كان يَبْحث في انتهاكات حقوق الإنسان في المنطقة الجنوبية الشرقية من تركيا

في العام ٢٠٠٢ كان الوضعُ في تركيا، ولاسيّما في المنطقة الكردية، سيّئًا جداً، ولكنّه تحسّنَ في السنوات اللاحقة، وعاد إلى التراجُع مجدّدًا. دعني أكْتَفِ بمثالٍ شخصيّ هنا: فقد كنتُ هناك سنة ٢٠٠٢ لحضور محاكمةِ ناشرٍ حُوكِم بسبب نشره ملاحظاتٍ لي عن تركيا، وها هو الآن يحاكَمُ مجدّدًا بسببِ كتابٍ مختلف!

هناك أسبابٌ عديدة لهذا التراجع. إنّ العسكر يشدِّدون من قبضتهم كثيرًا، وتقلّصت الإصلاحاتُ التي كانت قد بدأتْ في الحصول بشكل بطيء. وشعوري الخاصّ هو أنّ أحدَ أسباب هذه التراجعات هو عدائيةُ أوروبا من قضية السماح لتركيا بالانضمام إلى الاتحاد الأوروبي ثمة نزعةٌ عنصريةٌ [أوروبيةٌ] قويةٌ في ذلك، وهو ما لا يُغْفله الأتراكُ

بيروت

تراجُعُ الديموقراطية داخل أميركا يترافَقُ مع حملات مسيحانية لجلب الديموقراطية إلى الخارج!